

محمود درويش

## جندي يحلم بالزنايق البيضاء

يحلم بالزنايق البيضاء

بغصن زيتون..

بصدرها المورق في المساء

يحلم\_ قال لي\_ بطائر

بزهر ليمون

و لم يفلسف حلمه لم يفهم الأشياء

إلا كما يحسّها.. يشمّها

يفهم\_ قال لي\_ إنّ الوطن

أن أحتسي قهوة أُمي

أن أعود في المساء..

سألته: و الأرض؟

قال: لا أعرفها

و لا أحس أنها جلدي و نبضي

مثلما يقال في القصائد

و فجأة، رأيتها

كما أرى الحانوت.. و الشارع.. و الجرائد

سألته: تحبها

أجاب: حبي نزهة قصيرة

أو كأس خمر.. أو مغامرة

\_من أجلها تموت؟

\_كلا!

و كل ما يربطني بالأرض من أواصر

مقالة نارية.. محاضرة!

قد علموني أن أحب حبّها

و لم أحس أن قلبها قلبي،

و لم أشم العشب، و الجذور، و الغصون..

\_و كيف كان حبّها

يلسع كالشموس.. كالحنين؟

أجابني مواجها:

\_و سيلتي للحب بندقية

و عودة الأعياد من خرائب قديمة

و صمت تمثال قديم

ضائع الزمان و الهوية!

حدّثني عن لحظة الوداع

و كيف كانت أمه

تبكي بصمت عندما ساقوه

إلى مكان ما من الجبهة..

و كان صوت أمه الملتاع

يحفر تحت جلده أمنية جديدة :

لو يكبر الحمام في وزارة الدفاع

لو يكبر الحمام!..

..دخّن، ثم قال لي

كأنه يهرب من مستنقع الدماء:

حلمت بالزنايق البيضاء

بغصن زيتون..

بطائر يعانق الصباح

في غصن ليمون..

\_وما رأيت؟

\_رأيت ما صنعت

زنابقا حمراء

فجرتها في الرمل.. في الصدور.. في البطون..

\_و كم قتلت؟

\_يصعب أن أعدهم..

لكنني نلت وساما واحدا

سألته، معذبا نفسي، إنن

صف لي قتيلا واحدا.

أصلح من جلسته، وداعب الجريدة المطوية

و قال لي كأنه يسمعي أغنية:

كخيمة هوى على الحصى  
و عانق الكواكب المحطمة  
كان على جبينه الواسع تاج من دم  
وصدره بدون أوسمة  
لأنه لم يحسن القتال  
يبدو أنه مزارع أو عامل أو بائع جوال  
كخيمة هوى على الحصى .. و مات ..  
كانت ذراعاها  
ممدودتين مثل جدولين يابسين  
و عندما فتشت في جيوبه  
عن اسمه، وجدت صورتين  
واحدة .. لزوجته  
واحدة .. لطفلته ..  
سألته: حزنت؟  
أجابني مقاطعا يا صاحبي محمود  
الحزن طير أبيض  
لا يقرب الميدان. و الجنود  
يرتكبون الإثم حين يحزنون  
كنت هناك آلة تنفث نارا وردى  
و تجعل الفضاء طيرا أسودا  
حدثني عن حبه الأول،

فيما بعد

عن شوارع بعيدة،

و عن ردود الفعل بعد الحرب

عن بطولة المذيع و الجريدة

و عندما خبأ في منديله سعلته

سألته: أنلتقي

أجاب: في مدينة بعيدة

حين ملأت كأسه الرابع

قلت مازحاً.. ترحل و.. الوطن؟

أجاب: دعني..

إنني أحلم بالزنايق البيضاء

بشارع مغرّد و منزل مضاء

أريد قلباً طيباً، لا حشو بندقية

أريد يوماً مشمساً، لا لحظة انتصار

مجنونة.. فاشية

أريد طفلاً باسم يضحك للنهار،

لا قطعة في الآله الحربية

جئت لأحيا مطلع الشموس

لا مغربها

و دعني، لأنه... يبحث عن زنايق بيضاء

عن طائر يستقبل الصباح

فوق غصن زيتون  
لأنه لا يفهم الأشياء  
إلا كما يحسّها.. يشمّها  
يفهم\_ قال لي\_ إن الوطن  
أن أحتسي قهوة أُمي..  
أن أعود، آمنًا مع، المساء